

الوسائل والأساليب في دعوة نبي الله موسى عليه السلام من خلال القرآن الكريم

The Article's Title in English

Means and methods in the call of the Prophet of God Moses, peace be upon him

محمد العربي كشتوم

Mohammed Elarabi Kachtoum

جامعة أحمد درايعية أدرار (الجزائر)، Medelarabi@univ-adrar.dz

تاريخ النشر: 2025/05/28

تاريخ القبول: 2025/02/04

تاريخ الاستلام: 2023/12/28

الملخص: موسى عليه السلام أكثر الأنبياء أتباعا بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقصته في القرآن الكريم أوسع القصص، وقد واجه فرعونَ أعتى طاغية في التاريخ، لذلك كان عليه السلام في مقدمة من يقتدي بهم الداعية في دعوته، وأهم أصول الدعوة التي يستفيد منها الوسائل والأساليب التي كان يستعملها في التبليغ. وفي هذا البحث ومن خلال دراسة موضوعية للآيات التي ساقته قصة موسى عليه السلام يحاول الباحث استنباط الوسائل والأساليب التي استعملها عليه السلام في تبليغ دعوته لفرعون ولقومه من بني إسرائيل، وقد تمكن من استخلاص تسعة أساليب: البدء بالتوحيد، التربية والتعليم، مخاطبة العقل، التنكير، الدعاء على المخالف، الدعاء للاتباع والمدعوين، الترغيب والترهيب، إقامة الدليل، إزالة الشبهات. وسبعة وسائل: القول، الحوار، الخطابة، التأديب، الاستعانة بالغير، اختيار الظروف المناسبة، الاحتياط والحذر. **كلمات مفتاحية:** الدعوة، الوسيلة، الأسلوب، الداعية، موسى.

Abstract: Moses, peace be upon him, was the most followed of the prophets after our Prophet Muhammad PBUH, and his story in the Holy Quran is the widest of stories, and he faced Pharaoh, the most powerful tyrant in history. Therefore, he was at the forefront of those who follow the example of the preacher in his call, and the most important fundamentals of the call that benefits from him are the means and methods Which he used in order deliver the message.

In this research, and through an objective study of the verses of Quran that narrated the story of Moses, peace be upon him, the researcher tries to extract the means and methods used by Moses, peace be upon him, to communicate his call to Pharaoh and his people from the Israelis. The researcher was able to draw nine methods: starting with monotheism, education, addressing the mind, reminding, supplication for the offender, supplication for followers and those who are asked to follow, incitement and intimidation, establishing evidence, removing suspicions, and seven methods: saying, dialogue, rhetoric, discipline, seeking help from others, choosing the appropriate conditions, precaution and caution.

Keywords: The call, the means, the method, the preacher, Moses.

1. مقدمة:

الدعوة من أهم وسائل الإصلاح وعلاج الانحراف، وقوامها على أربعة أصول: الداعي، والمدعو، وموضوع الدعوة، والوسائل والأساليب المستعملة، وهذه الأخيرة أهم ما يستفيد الداعية من تجربة من تقدمه من الدعاة والمصلحين، وعلى رأسهم الأنبياء والرسل عليهم السلام، لأن نجاح دعوته ووصولها إلى المدعويين متوقف عليها، يقول الله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَفْتَدِهِ﴾ (الأنعام 90)

وموسى عليه السلام أكثر الأنبياء أتباعا بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقصته في القرآن الكريم أوسع القصص، وقد ذكر باسمه في واحد وثلاثين ومائة (131) موضع، وهو أعظم أنبياء بني إسرائيل، وقد واجه أعظم طاغية في التاريخ، لذلك كان في مقدمة من يقتدي بهم الداعية ويستفيد منهم. فما هو منهج موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله، وما هي الوسائل والأساليب التي كان يستعملها في دعوته؟

وفي هذا البحث ومن خلال دراسة موضوعية للآيات التي ساقته قصته عليه السلام مع فرعون وملئه ومع قومه من بني إسرائيل وبلاستعانة بتفسير من تقدم من أهل العلم يحاول الباحث استنباط الوسائل والأساليب التي كان يستعملها عليه السلام في تبليغ دعوته.

والهدف هو بيان المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله، ومدى تأثير وفاعلية الوسائل والأساليب التي كان يستعملها الأنبياء في دعوتهم إلى الله وعلى رأسهم موسى عليه السلام.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة عناصر، وخاتمة.

العنصر الأول: فيه توضيح مفهوم الوسائل والأساليب في مجال الدعوة لغة واصطلاحا

العنصر الثاني: فيه شرح للوسائل التي تم استنباطها

العنصر الثالث: فيه شرح للأساليب.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

1. مفهوم الوسائل والأساليب:

1.1. مفهوم الوسائل:

الوسيلة في اللغة هي: الرغبة والطلب، وما يتقرب به إلى الشيء، وهي على العموم كل ما يتحقق به غرض معين ويقابلها الغاية، (ابن فارس، 1979، صفحة 6/110)، (الفيومي، صفحة 2/660)، (عبد الحميد، 2008، صفحة 3/2441).

وفي الاصطلاح في مجال الدعوة: هي ما يستعمله الداعية ويستعين به من أمور حسية أو معنوية من أجل تبليغ الدعوة وتطبيق مناهجها، ويمكن تفصيلها على نوعين: وسائل تتعلّق باتخاذ الأسباب لتهيئة المجال الجيد المساعد لتبليغ الدعوة إلى الله، كاختيار المكان والزمان المناسب، ووسائل تتعلّق بمهمة تبليغ الدعوة بصورة مباشرة، كالحوار والخطابة، (زيدان، 2001، صفحة 447)، (القحطاني، 1421، صفحة 2/1116)

2.1. مفهوم الأساليب:

الأسلوب في اللغة هو: الطريق والفن والمذهب والنمط.. ومنه أساليب الدعوة أو أساليب التربية وهي المناهج والطرق العلمية، (الفيومي، صفحة 1/284)، (الفيروزآبادي، 2005، صفحة 1/98)، (عبد الحميد، 2008، صفحة 2/1082).

وفي الاصطلاح في مجال الدعوة: هو الصورة المباشرة المتعلقة بكيفية تبليغ الدعوة، من تأليف الكلام، واختيار الألفاظ، وتأدية المعنى، أو كيفية تطبيق مناهج الدعوة، (زيدان، 2001، صفحة 411)، (القحطاني، 1421، صفحة 2/1121).

والفرق بينهما عموماً هو أن الوسائل غالباً ما تكون حسية أكثر منها معنوية، على عكس الأساليب، ويمكن أن يقال بأن الوسائل بمثابة الأوعية للأساليب، تحملها إلى المدعويين، (القحطاني، 1421، صفحة 2/1121)

2. الأساليب في دعوة موسى عليه السلام:

استعمل نبي الله موسى عليه السلام أساليب شتى في دعوة قومه إلى الله، حرصاً منه على هدايتهم، وقد ذكر القرآن الكريم مواقف كثيرة من دعوته يمكن من خلالها استنباط بعض الأساليب التي كان يستعملها.

1.2. البدء بالتوحيد:

التوحيد في نفسه غاية، والأسلوب هو البدء به والتركيز عليه، وأول قضية تواجه الداعية والمصلح: بماذا يبدأ؟ وعلى ماذا يركز؟ وإذا تأملنا في دعوة موسى عليه السلام نجد أن أول ما كلف به شخصياً توحيد الله، وذلك أول ما كلمه الله تعالى واصطفاه في قوله: { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } (طه: ١٤)، يقول ابن كثير في تفسير الآية: "هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له"، (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1999، صفحة 5/277) وإذا كان أول واجب على المكلف فلا بد أن يبدأ به في إصلاح نفسه، ويبدأ به في إصلاح غيره، فكان أول ما كلفه الله به حين أرسله إلى فرعون: { قُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّى } (النازعات: ١٨)، قال عكرمة: "هل لك إلى أن تقول لا إله إلا الله"، (الطبري، 2000، صفحة 24/201)

يكلف موسى عليه السلام بهذا وهو الذي تربي في قصر فرعون ورأى من ألوان الفساد والظلم والاستبداد وما حل بقومه من الاستعباد والاستذلال وقتل الأبناء ما يفوق الوصف، ولم يكلف مثلاً بالأخذ على أيدي الطغاة أو انتزاع السلطة منهم أو الثورة ضدهم أو ما شابه، (المدخلي، 2000، صفحة 67).

وهذا الأسلوب واضح في دعوة جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

2.2. التربية والتعليم:

فإذا حصلت الاستجابة فلا بد من تعليم المدعوين أمور دينهم وتربيتهم عليه، وتزويدهم بما يكفل لهم المناعة من الداء القديم من الشبهات والشهوات، لأنه قد تبقى منه بقايا كثيرة أو قليلة، فهم معرضون للانتكاسة أو السير على غير هدى، (زيدان، 2001، صفحة 442).

وموسى كليم الله عليه السلام دائماً يتعهد قومه بتعليمهم ما يحتاجون، وجوابهم عما يستشكلون، وتربيتهم كيف يزكون أنفسهم، وكيف يتعاملون مع الأخطاء، وكيف يواجهون الشدائد، ومن نماذج ذلك:

أولاً: الحرص على طلب العلم: حيث علمهم بالقنوة، وضرب لهم أروع الأمثلة في الحرص على طلبه والسعي في تحصيله، فقال لفتاه: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (الكهف: ٦٠)، أي: لا أزال مسافراً وإن طالت علي الشقة، ولحققتي المشقة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحى إليه: أنك ستجد فيه عبداً من عباد الله، عنده من العلم ما ليس عندك، وقد جاءت هذه القصة مفصلة في سورة الكهف (الآيات: 60-82)، وفي حديث طويل في الصحيحين، (البخاري، 1422، صفحة 4/154)، (القشيري، 1991، صفحة 4/1847).

ثانياً: المحافظة على الصلاة على كل حال: لأنها المعينة على جميع الأمور، كما قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ٤٥)، وحين اشتد البلاء على بني إسرائيل من فرعون وقومه أوحى الله إلى موسى وأخيه: ﴿أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوْتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (يونس: ٨٧)، أمرهم أن يجعلوا لهم بيوتاً، يتمكنون من الاستخفاء فيها، وأن يجعلوها محلاً يصلون فيه، حيث عجزوا عن إقامة الصلاة في الكنائس، والبيع العامة، وأن يقيموا الصلاة ويحافظوا عليها ولا يضيعوها، (السعدي، 2000، صفحة 372).

ثالثاً: التوكل على الله والثقة فيه: خاصة عند الشدائد، وهذا ما كان موسى عليه السلام يربي أتباعه عليه ليواجهوا به ظلم فرعون وقتنته، فعندما اشتد البلاء على بني إسرائيل من فرعون وقومه قال لهم موسى عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٨٤)، لأن الله كاف من يتوكل عليه (ابن كثير،

تفسير القرآن العظيم، 1999، صفحة 4/288). ومن المواقف التربوية ما حصل عندما حوصروا من قبل فرعون وجنوده وأيقنوا الهلكة؛ {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} (الشعراء: ٦٢)، يعني: سيكفيني (الطبري، 2000، صفحة 19/356)، يريهم عليه السلام أن يتعلقوا بالله دائماً وأن يستحضروا معيته، وأن يثقوا به ويحسنوا الظن به، (الشاربي، 1412، صفحة 5/2599).

رابعاً: التحذير من الشر وأهله: وهو من أعظم التربية، فعندما نجد موسى عليه السلام يحذر أخاه هارون - وهو نبي من الأنبياء - من اتباع سبيل المفسدين ندرك أن الأمر خطير وأنه لا يستغني عنه أحد، وذلك حين استخلفه على قومه فأوصاه بالإصلاح وحذره من اتباع سبيل المفسدين، كما قال تعالى: {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} (الأعراف: ١٤٢)، وهذا التحذير جامع "للنهي عن ثلاث مراتب من مراتب الإفضاء إلى الفساد، وهو العمل المعروف بالانتساب إلى المفسد، وعمل المفسد وإن لم يكن مما اعتاده، وتجنب الاقتراب من المفسد ومخالطته" (ابن عاشور، 1984، صفحة 9/88).

3.2. مخاطبة العقل:

وهذا لا بد منه خاصة مع قوم لا يؤمنون بوحى ولا رسالة، وقد استعمل موسى عليه السلام هذا الأسلوب مع فرعون وملئه، ومع بني إسرائيل.

أولاً: مع فرعون وملئه:

وذلك عندما أنكر فرعون وجود الله تعالى، فقال لموسى حينما خاطبه به: {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء: ٢٣)، فأجابه موسى عليه السلام بأسلوب عقلي واضح {قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} (الشعراء: ٢٤)، {قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ} (الشعراء: ٢٦)، {قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} (الشعراء: ٢٨)، فرب السماوات والأرض وما بينهما ورب الناس أجمعين ورب المشرق والمغرب وما بينهما هو المستحق للعبادة وليس فرعون البشر الضعيف، وهذا يدركه من له أدنى مسكة من عقل، لذلك ختمها بقوله: {إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} فانقطعت عن فرعون الحجة وصار إلى التهديد والوعيد، {قَالَ لَنْ اِتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ} (الشعراء: ٢٩)، (الشعراوي، 1997، صفحة 17/10559).

ولما وصفوا ما جاءهم به بأنه سحر مبين قال لهم: {أَسِحْرٌ هَذَا} (يونس: ٧٧)، كأنه يقول لهم: تأملوا فيه وانظروا في أوصافه وما اشتمل عليه ثم قيسوه بما تعرفونه من السحر يتبين لكم بأنه حق وليس بسحر، (السعدي، 2000، صفحة 370).

ثانيا: مع قومه من بني إسرائيل:

وذلك عندما طلبوا منه أن يدعو الله ليخرج لهم {مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا} (البقرة: ٦١)، وهذه الأمور تحتاج إلى عمل وكدح، وهم قد كانوا في بحبوحة من العيش ينزل عليهم المن والسلوى من غير عناء ولا تعب، فقال لهم مخاطبا عقولهم: {أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ} (البقرة: ٦١)، وهذا "صريح في وجوب ترجيح الأعلى على الأدنى وإيثار الخير على الشر والإرشاد إلى طلب ما هو خير وأفضل مما يقابله، وفي طلب المعالي والكمال في أمور الدنيا والآخرة، وفي معناه قوله تعالى: {وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَاهَةٍ} (البقرة: ١٣٠)" (رضا، ١٩٩٠، صفحة ١/٩٣)، والسفيه: من لم ينضج عقله، (الشعراوي، ١٩٩٧، صفحة ١/٥٩١).

4.2. التذكير:

لأن النفس تنسى وتغفل، فيأتي التذكير ليوقظها وينبهها، وهذا من الوظائف العظيمة للداعية والمصلح، كما قال تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} (الغاشية: ٢١)، ومما كان يذكر به موسى عليه السلام نعمة الله التي تستوجب الشكر وتنشطهم على العبادة، والقصص التي فيها العبر.

أولاً: التذكير بنعم الله:

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} (المائدة: ٢٠)، يذكرهم بهذه النعم ليقدموا على الجهاد ويثبتوا فيه، فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، ولهذا قال: {ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ} (المائدة: ٢١)، (السعدي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٢٧).

ومن النعم العظيمة التي كان يذكرهم بها عليه السلام: إنجاء الله لهم من عذاب فرعون وظلمه، مما يستوجب شكر الله عليها وعبادته حق العبادة، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} (إبراهيم: ٦)، أي: نعمة عظيمة تستوجب الشكر، (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٩٩٩، صفحة ٤/٤٧٩).

ثانيا: التذكير بأيام الله (القصص):

وهو من الوظائف الأساسية التي كلفه الله بها حين أرسله، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} (إبراهيم: ٥).

والتذكير يكون بالأيام الخاصة بالوقائع التي حدثت للأقوام السابقين عليهم كقوم نوح وعاد وشمود، لأن الله قد أعلمه بذلك، كما في قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ} الآية (إبراهيم: ٩)، على القول بأنه من كلام موسى عليه السلام، (الطبري، 2000، صفحة 16/529)، ويكون بالأيام التي أنعم الله فيها على بني إسرائيل بنعمه، أو ابتلاهم فيها بما يؤلمهم، وهذا فيه من الآيات والعبر ما يستوجب الشكر على النعم والحذر من النقم، لذلك قال تعالى بعدها: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} (إبراهيم: ٥)، (الشعراوي، 1997، صفحة 12/7442).

5.2. الدعاء على المخالف:

وكان موسى عليه السلام يدعو على فرعون وملئه إما للتحرز من شرهم، أو للخوف من إضلالهم لغيرهم، ويدعو أيضا على قومه عند المخالفة لغرض التأديب والعقوبة.

أولا: الدعاء على فرعون وملئه للتحرز من شرهم: كما دعا عليهم عندما هم فرعون بقتله، في قوله عليه السلام: {إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيَوْمِ الْحِسَابِ} (غافر: ٢٧)، ويدخل فيه فرعون وغيره، خص عليه السلام الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من كان كذلك لم يرج ثوبا ولم يخف عقابا، (الطبري، 2000، صفحة 21/375).

ثانيا: الدعاء على فرعون وملئه خوفا من إضلال غيرهم: دعا عليه السلام على فرعون وملئه حين تجرأوا على محارم الله وأفسدوا عباد الله، فقال عليه السلام: {رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} (يونس: ٨٨)، ولم يدع لهم بالهداية لأنه "لا بد أن الحق سبحانه وتعالى قد أطلعه على أن هؤلاء قوم لن تقلح فيهم دعوة الإيمان، فكان خوف موسى عليه السلام لا من ضلال قوم فرعون، ولكن من استمرار إضلالهم لغيرهم"، (الشعراوي، 1997، صفحة 10/6167).

ثالثا: الدعاء على قومه المخالفين للتأديب والعقوبة: فعل هذا عليه السلام لما عتوا عليه وتولوا عن طاعة الله والجهاد في سبيله، فدعا عليهم وقال في دعائه: {فَأَفَرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} (المائدة: ٢٥)، "أي: احكم بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق"، (السعدي، 2000، صفحة 228).

6.2. الدعاء للاتباع والمدعوين:

لكمال حرص موسى عليه السلام على قومه وعلى هدايتهم كان يدعو الله عز وجل أن يقضي حوائجهم، ويدعو لهم بالمغفرة إذا أخطأوا، وكان أيضا يدعو للمدعوين عسى أن يكون ذلك سببا في هدايتهم.

أولا: الدعاء بالمغفرة والرحمة عند الخطأ: وذلك في موضعين:

الدعاء لأخيه هارون: بعدما حصل من عبادة العجل، وظنه في أخيه التقصير، وعتابه له، دعا له عليه السلام: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (الأعراف: ١٥١)، حيث "طلب المغفرة لأخيه فيما عسى أن يكون قد ظهر منه من تفريط أو تساهل في ردع عبدة العجل عن ذلك"، (ابن عاشور، 1984، صفحة 9/118).

الدعاء لقومه من بني إسرائيل: عندما تجرؤوا وأساءوا الأدب مع موسى عليه السلام وطلبوا منه أن يريهم الله جهرة {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} (الأعراف: ١٥٥) فصعقوا وهلكوا، فلم يزل موسى عليه الصلاة والسلام يتضرع إلى الله ويتبتل أن يغفر لهم، وكان من دعائه: {أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} (الأعراف: ١٥٥)، (السعدي، 2000، صفحة 303).

ثانيا: الدعاء للبيان والتعليم: ومن ذلك ما حصل في قصة البقرة (البقرة: 67-74)، حيث كانوا يطلبون منه أن يدعو الله ليبين لهم ماهيتها ووصفها ولونها.. فكان عليه السلام يدعو الله عز وجل ويحببهم، (الشعراوي، 1997، صفحة 1/392).

ثالثا: الدعاء لقضاء الحوائج: مثلما دعا لهم حين سئمو من نوع واحد من الطعام وطلبوا منه أن يدعو الله لهم وقالوا: {لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا} (البقرة: ٦١)، فدعا الله فأجابه أن {اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ} (البقرة: ٦١)، (المحلي و السيوطي، صفحة 13).

رابعا: الدعاء للمدعوين لكشف الضر عنهم: لما نزل بآل فرعون صنوف العذاب طلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو الله ليكشفه عنهم، ووعدوه إن فعل أن يؤمنوا به، فدعا الله عز وجل لهم طمعا في إيمانهم، قال تعالى: {وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ [أي: بدعاء موسى عليه السلام] (المحلي و السيوطي، الصفحات 211، 652) إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ} (الأعراف: ١٣٤ - ١٣٥).

7.2. الترغيب والترهيب:

وهذا الأسلوب مهم في الدعوة إلى الله، لأن النفس تكسل وتفتقر وتميل إلى الشهوات، فيأتي الترغيب لينشطها على العبادة والطاعة، والترهيب لينفرها من المخالفة والمعصية، ومما كان يرغب فيه موسى عليه السلام الشكر عند النعمة، والصبر والاستعانة بالله عند المصيبة، وكان يرهب من الإفساد والظلم، والتكذيب وافتراء الكذب.

أولاً: الترغيب في شكر النعم والترهيب من كفرها: قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} (إبراهيم: ٧)، وهذا بعد تذكيرهم بنعمة الله عليهم إذ أنجاهم من آل فرعون (إبراهيم: ٦)؛ يحثهم على شكر نعم الله، ويعلمهم أن شكرها سبب لزيادتها، وكفرها سبب لسلبها للعقاب عليها، (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1999، صفحة 4/479).

ثانياً: الترغيب في الصبر والاستعانة بالله: قال تعالى: {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (الأعراف: 128)، يرغبهم في الصبر والاستعانة بالله بأن عاقبتهم الفرج والاستخلاف في الأرض، حين توعدهم فرعون بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم للخدمة، (السعدي، 2000، صفحة 300).

ثالثاً: الترهيب من الإفساد والظلم: قال موسى عليه السلام للسحرة: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} (يونس: ٨١)، يرهيبهم من الإفساد بأن عاقبته إلى تباب، وقال لفرعون وقومه: {إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ} (القصص: ٣٧)، "وذلك يفت من أعضادهم، ويلقي رعب الشك في النجاة في قلوبهم" (ابن عاشور، 1984، صفحة 20/121).

رابعاً: الترهيب من التكذيب وافتراء الكذب: وكان ذلك في مستهل دعوته لفرعون، في قوله: {إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} (طه: ٤٨)، يخوف فرعون ويهربه من تكذيبه والتولي عن اتباعه، بأن عليه العذاب من الله إن فعل ذلك.

وكذلك رهب السحرة من افتراء الكذب، فقال لهم: {وَيُلْكَمُ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى} (طه: ٦١)، وذلك بتخييلهم للناس إيجاد أشياء لا حقيقة لها لينصروا ما هم عليه من الباطل، فمن فعل ذلك فإنه خائب في العذاب، (السعدي، 2000، صفحة 508).

8.2. إقامة الدليل:

وهذا أمر بدهي، لأن المدعويين يرون دعوته مجرد دعوى، فلا بد عليه من إقامة الدليل القاطع على إثباتها، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ} (هود: ٩٦) (غافر: 23)، فأقام موسى عليه السلام مختلف الأدلة على صحة رسالته؛ أقام الدليل الحسي والعقلي والتاريخي.

أولاً: الدليل الحسي:

والمتمثل في المعجزات التي أيده الله بها، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} (الإسراء: ١٠١)، وهي الدلائل القاطعة على صدقه وصحة نبوته، قال ابن عباس: "هي: العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات" (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1999، صفحة 5/124)، وقد ذكرت في مواضع متفرقة من القرآن الكريم.

ثانياً: الدليل العقلي:

استعمل موسى عليه السلام أربعة أنواع من الأدلة العقلية، عجز فرعون عن الإجابة عنها فأخذ يشغب يميناً وشمالاً:

2,1. الاستدلال على وجود الله وعظمته وأنه المستحق للعبادة بدليل الخلق (أو الاختراع) والعناية (عنايته بخلقه): فقوله عليه السلام: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (طه: ٥٠) فيه دليل الخلق، وقوله: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى} (طه: ٥٣) فيه دليل العناية.

قال ابن رشد: "الدلالة على وجود الصانع تعالى منحصرة في هذين الجنسين: دلالة العناية، ودلالة الاختراع" (ابن رشد، 1964، صفحة 153)

4,3. الاستدلال على قدرة الله على البعث بإخراج النبات من الأرض بعد موتها، وخلق الإنسان منها أول مرة: وذلك في قوله: {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى} (طه: ٥٣)، وقوله: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} (طه: ٥٥)، قال السعدي: "وهذان دليلان على الإعادة عقليان واضحان: إخراج النبات من الأرض بعد موتها، وإخراج المكلفين منها في إيجادهم" (السعدي، 2000، صفحة 507).

ثالثاً: الدليل التاريخي:

استدل موسى عليه السلام بصحة ما جاء به بما تقدمه من الرسل والرسالات، وأنهم جاءوا بالبينات مثله، قال تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ {الآية (إبراهيم: ٩)، وهذا على قول ابن جرير من أنه من تمام قول موسى لقومه، وقيل: إنه خبر مستأنف من الله عز وجل، (الطبري، 2000، صفحة 16/529)، (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1999، الصفحات 4/481,480).

9.2. إزالة الشبهات:

لأن أعداء الداعية يثيرون الشبهات في وجهه لصد الناس عن دعوته، فيحتاج حينئذ إلى كشفها وإزالتها، فيفتح الطريق أمام الناس ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة، وأحيانا تكون الشبهات لدى الأتباع في بعض التكليف، فيزيلها لئلا يبقى عذر في الامتثال.

أولاً: إزالة الشبهات المثارة حول رسالته:

والذي كان يثيرها بالدرجة الأولى هو فرعون، خاصة أثناء محاوره موسى له، يفعل ذلك ليحول دون تأثر الناس بما يقوله عليه السلام، ومن تشبيهه على قومه قوله: {الَّذِينَ لِي مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ} (51) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52) فَلَوْلَا أُلْفِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْرِئِينَ (53) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ { (الزخرف: ٥١ - ٥٤)، فجعل هذه الأشياء دليلاً على ألوهيته، فكان تنفيذ ذلك في قول موسى عليه السلام: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (طه: ٥٠)، "أراد الحق سبحانه وتعالى أن يرد عليه: ألك شيء في خلق هؤلاء المألوهين لك؟" (الشعراوي، 1997، صفحة 15/9285).

ولما كان هذا الجواب مفحماً انتقل إلى التشغيب بشبهة أخرى؛ {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى} (طه: ٥١)، فأجابه موسى عليه السلام: {قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى} (طه: ٥٢)، قال قتادة: "يقول فما أعمى القرون الأولى؟ فوكّلها نبي الله موكلًا فقال: {عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي}" (الطبري، 2000، صفحة 18/319)، أي: أن هذا ليس من اختصاصي، إنما مهمتي أنا التبليغ، والذي ذكرته مرده إلى الله، (الشعراوي، 1997، صفحة 15/9289).

أقول: وهذا الجواب من أنسب ما يكون، ويقضي على نوع من الشبهات المثارة -خاصة في هذا العصر-، فيقول كثير من المتشككين: ما بال العالم الفلاني الذي نفع البشرية وقد مات على الكفر، كيف يعذبه الله؟.. كيف يفعل الله بالقوم الفلاني كذا وهم على كذا؟.. فالجواب أن يقال: كل هذا راجع إلى الله وليس من اختصاصنا، وهو سبحانه العليم الذي لا يخفى عليه شيء، الحكيم، الرحيم، الذي لا يظلم عباده مثقال ذرة.. والله أعلم.

ثانيا: إزالة الشبهات في التشريع:

كما في قصة البقرة، حيث قال بنو إسرائيل: {إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا} (البقرة: ٧٠)، أي: لكثرتها، فاشتبه عليهم الأمر وطلبوا تمييز هذه البقرة، ويظهر أنه حصل بينهم خلاف، فبعضهم يقول: هي هذه، والآخر يقول: لا بل هذه.. (الشعراوي، 1997، صفحة 1/395)، ففصلها وبينها حتى زال الإشكال، كما قال تعالى: {قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ} (البقرة: ٧١)، أي: بالبيان الواضح، (الطبري، 2000، صفحة 2/217)، وحينئذ أطاعوه فذبحوها.

3. الوسائل في دعوة موسى عليه السلام:

1.3. القول:

وهو الأصل في تبليغ الدعوة، (زيدان، 2001، صفحة 470)، وفي أول تكليف من الله عز وجل لموسى وأخيه هارون عليهما السلام بتبليغ الدعوة إلى فرعون، قال لهما: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} (طه: ٤٤).

ومن أهم خصائص القول في دعوة موسى عليه السلام: اللين، الوضوح والبيان، سعة صدر القائل.

أولاً: اللين: في وصية الله له: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا} (طه: ٤٤)، وهذا يعطيه فسحة لينظر في الحجة، وكما "قَالُوا: النَّصِيحَ ثَقِيلَ، فَلَا تَرْسَلْهُ جَبَلًا، وَلَا تَجْعَلْهُ جَدَلًا، وَلَا تَجْمَعِ عَلَى الْمُنْصُوحِ شِدَّتَيْنِ: أَنْ تُخْرِجَهُ مِمَّا أَلْفَ بِمَا يَكْرَهُ، بَلْ تُخْرِجْهُ مِمَّا أَلْفَ بِمَا يَحِبُّ" (الشعراوي، 1997، صفحة 15/9275).

ثانيا: الوضوح والبيان: حتى تصل الفكرة كاملة ويُفهم المقصود، لهذا دعا موسى عليه السلام ربه: {وَاحْطُلْ عُنْدَهُ مِنْ لِسَانِي (27) يَقْفَهُوا قَوْلِي} (طه: ٢٧، ٢٨)، وقد كان في لسانه ثقل لا يكاد يفهم عنه الكلام كما قال المفسرون، (السعدي، 2000، صفحة 504)، ويوضح هذا المعنى قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} (إبراهيم: ٤)، أي: بلغتهم ليفهمهم، (الطبري، 2000، صفحة 16/516).

ثالثاً: سعة صدر القائل: لأن في هذه الدعوة إخراجاً للمدعو مما قد ألفه وأحبه، فلا يُنتظر منه أن يتقبل مباشرة، بل الغالب أن ردة الفعل تكون سلبية، لهذا يحتاج الداعية إلى سعة الصدر ليتحمل ما يصدر من المدعو، وموسى عليه السلام دعا ربه ذلك فقال: {رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي} (طه: ٢٥)، "لأن الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم" (السعدي، 2000، صفحة 504).

ومن مجالات القول في دعوة موسى عليه السلام: الحوار، والخطابة.

2.3. الحوار:

وقد جاء في آيات كثيرة، حكت بالتفصيل الحوار الذي جرى بين موسى وفرعون، وبينه وبين قومه، وكذا الذي جرى بينه وبين السحرة، بل حتى الذي بينه وبين السامري، وهذا يدل على أهميته وفاعليته العظمى في تبليغ الدعوة.

أولاً: الحوار مع فرعون: وقد جاء مفصلاً في مواضع كثيرة من القرآن الكريم؛ في سورة الأعراف ويونس والإسراء وطه والشعراء، والذي يظهر أن كل التفاصيل التي جاءت في هذه المواضع تحكي الحوار الذي حصل مع فرعون في بداية الدعوة؛ أول ما جاءه موسى وهارون عليهما السلام، (الخميس، 2010، الصفحات 357-361).

ثانياً: الحوار مع السحرة: وكان ذلك أثناء المواجهة الكبرى معهم، حين تواجد مع فرعون يوم الزينة، فقبل المواجهة مباشرة بدأهم موسى عليه السلام بالمحاوره: {قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (61) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ} (طه: 61، 62)، ارتبكوا وحصل النزاع بينهم، هل هذا ساحر أو رسول؟ (الطبري، 2000، صفحة 18/327)، وهذا يدلنا على أهمية تقديم الحوار.

ثالثاً: الحوار مع قومه من بني إسرائيل: كما حصل في قصة البقرة حيث استمر الحوار بينهم وبين موسى عليه السلام مدة طويلة، يوجهون السؤال إليه فيدعو الله عز وجل فيأتيه الجواب فيجيبهم، ثم يوجهون سؤالاً آخر.. إلخ (الشعراوي، 1997، صفحة 1/392).

ومما حكى القرآن عنه أيضاً: الحوار الذي حصل معهم في وصيته لهم بالصبر والاستعانة بالله من ظلم فرعون، (الأعراف: 128، 129)، ومنه أيضاً ما حصل من مجادلة قومه له عليه السلام عندما أمرهم بدخول الأرض المقدسة، (المائدة: 26-20).

رابعاً: الحوار مع السامري: قال تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام: {قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ} الآيات (طه: 95-97)، وجّه الكلام إليه وحاوره ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه، وهذا بعد أن انتهى من سماع اعتذار قومه وإسنادهم الفساد إليه، (المراعي، 1946، صفحة 16/145).

3.3. الخطابة:

وهي من الوسائل المهمة في تبليغ الدعوة، ويظهر أن غالب خطب موسى عليه السلام كانت لقومه من بني إسرائيل، يتمكن من خلالها من وعظهم وتذكيرهم، وإرشادهم وتعليمهم. قال ابن عباس: "لما ظهر موسى وقومه على أرض مصر أنزل قومه مصر، فلما استقرت بهم الدار أمره الله أن ذكرهم بأيام الله، فخطب قومه فذكرهم ما أتاهم

الله من الخير والنعمة إذ نجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوهم، واستخلفهم في الأرض" (القرطبي، 1964، صفحة 10/11).

ومن ذلك ما قصه الله عنه في قوله: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبَّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} (إبراهيم: 6-9)، وهذه خطبة طويلة تمكن من خلالها من استعمال أساليب شتى: التذكير بالنعمة، والترغيب والترهيب، والتذكير بأيام الله (القصص).

وقد حكى لنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن موسى عليه السلام استعماله لهذه الوسيلة فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي بن كعب: (أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل..) الحديث، (البخاري، 1422، صفحة 4/154)، (القشيري، 1991، صفحة 4/1847)، في قصة موسى عليه السلام مع الخضر.

ويمكن أن يقال في كثير من الآيات التي تحكي قوله لقومه: "يا قوم" هي من قبيل الخطب.

4.3. التأديب:

وهذا خاص بمن له سلطة في أتباعه، كشأن موسى عليه السلام بعد أن تمكن، وتكمن أهميته في زجر المخالف وانزجار الناس عن فعله، والتأديب يكون بالقول والفعل، وليس فيه مقدار معين، (أبو زيد، 1415، صفحة 465 وما بعدها).

أولاً: التأديب بالقول: وهو الذي يكون فيه إيلاء للنفس كاللوم والتوبيخ والزجر والعتاب وما شابه، (أبو زيد، 1415، صفحة 483)، ومن ذلك:

1. لومه لأخيه هارون عليه السلام: في قوله تعالى: {قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} (طه: 92 - 93)، ينكر عليه بأنه لا مانع له من اللحاق به، ليخبره فيبادر بالرجوع، "وهذا خطاب التوبيخ والتهديد على بقاءه بين عبدة الصنم" (ابن عاشور، 1984، صفحة 16/291).

2- توبيخه لقومه: عندما مروا على قوم يعبدون الأصنام، فطلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً كما لهم آلهة {قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} (الأعراف: 138)، وكان جوابه بعنف وغلظة لأن ذلك هو المناسب لحالهم، (ابن عاشور، 1984، صفحة 9/81).

3- زجره للسامري: في قوله: {فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ} (الآية: طه: 97)، وهذا علاوة على التأديب الفعلي، لأن هذا الكلام يزيد ألماً من الناحية المعنوية (ابن عاشور، 1984، الصفحات 16/298, 297).

ثانيا: **التأديب بالفعل**: ويكون بما يحدث ألما في الجسد، ومن ذلك:

1. ما فعله بأخيه هارون: قال تعالى: {وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ} (الأعراف: ١٥٠)، "وذلك يؤلمه، فذلك تأنيب لهارون على عدم أخذه بالشدة على عبدة العجل، واقتصاره على تغيير ذلك عليهم بالقول" (ابن عاشور، 1984، صفحة 9/116).

2. ما فعله بالسامري: حيث عاقبه بنفيه من المجتمع، وأبعده عن الناس، فلا يدنو منه أحد ولا يمسه أحد، حتى إن من أراد القرب منه يقول له: لا تمسني، ولا تقرب مني، (طه: ٩٧) (السعدي، 2000، صفحة 512).

5.3. الاستعانة بالغير:

لأن الدعوة أحيانا قد تتطلب إمكانات وكفاءات لا يتمكن منها الداعية وحده، فيحتاج حينئذ إلى الاستعانة بغيره، وبعض المدعوين -وفي مقدمتهم فرعون- بلغوا من الطغيان والعناد ما يصعب على الداعية مواجهتهم وحده، وموسى عليه السلام قد استعان بأخيه هارون في دعوته كلها، وبالفتي يوشع بن نون في رحلته في طلب العلم.

أولا: الاستعانة بأخيه هارون:

حيث سأل ربه عند تكليفه بالدعوة والرسالة أن يرسله معه، فقال: {وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي} (29) هَارُونُ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي { (طه: ٢٩ - ٣٢)، وقال: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي} (القصص: ٣٤)، وفيما سألته تسهيل لأداء الدعوة، وتكميل لما عسى أن يكون من نقص (الشعراوي، 1997، صفحة 15/9262).

ثانيا: الاستعانة بفتاه يوشع بن نون:

وكان ذلك عند خروجه للرحلة في طلب العلم للقاء الخضر، كما قال تعالى: {قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} (الكهف: ٦٢)، وعن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحملا حوتا في مكنل) الحديث. (البخاري، 1422، صفحة 4/154)، (القشيري، 1991، صفحة 4/1847)، (القرطبي، 1964، صفحة 11/11)، (السعدي، 2000، صفحة 482).

6.3. اختيار الظروف المناسبة:

لأنها توفر نجاحا أكثر للدعوة، وتساعد على أداء العبادة على وجه كامل، وموسى عليه السلام اختار يوم الزينة لمواجهة فرعون، وهاجر ببني إسرائيل إلى الشام ليتمكنوا من عبادة الله.

أولاً: اختيار يوم الزينة لمواجهة فرعون وتبليغ الدعوة:

قال تعالى: {قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُخًى} (طه: ٥٨ - ٥٩)، وهو يوم عيد كان لهم، أو سوق يتزينون فيه (الطبري، 2000، صفحة 18/323)، واختار موسى عليه السلام هذا الظرف لما يحصل فيه من كثرة الاجتماع، ورؤية الأشياء على حقائقها (السعدي، 2000، صفحة 508)، وأيضاً في هذا اليوم تكون النفوس مسرورة منبسطة فهي أقرب لقبول الحق (الشعراوي، 1997، صفحة 15/9304).

ثانياً: الهجرة من أجل التمكن من عبادة الله:

وكان هذا المقصد من بداية الدعوة، قال تعالى: {فَأْتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسَلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} (الشعراء: 16، 17)، يعني: إلى الشام، وكُفَّ عنهم عذابك وأطلقهم من قهرك ودعهم ليعبدوا ربهم ويقبموا أمر دينهم (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1999، الصفحات 3/454، 6/137)، (المحلي و السيوطي، الصفحات 481، 409).

فلما آمن بنو إسرائيل واتبعوا موسى عليه السلام أذاقهم فرعون صنوف العذاب والظلم، وصاروا يستخفون بصلاتهم في البيوت، وفتنوا في دينهم حتى قالوا لموسى: {أَوَدِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا} (الأعراف: ١٢٩)، عندها أمر الله عز وجل موسى عليه السلام بالهجرة والخروج ببني إسرائيل إلى الشام، وبين له كيفية الخروج، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى} (طه: ٧٧) (ابن كثير، قصص الأنبياء، 1968، صفحة 2/79)، (الشنقيطي، 1995، صفحة 4/69).

7.3. الحذر والاحتياط:

لأن الداعية سيواجه أعداء ومخاطر وعراقيل، وهذه سنة الله في خلقه، فعليه حينئذ الاحتياط وتوخي الحذر، ومن ذلك أمر موسى عليه السلام قومه بالاستخفاء بالصلاة حذراً من بطش فرعون، وحرّق العجل ونسّفه احتياطاً من معاودة الافتتان به.

أولاً: الاستخفاء بالصلاة:

قال تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} (يونس: ٨٧)، قال مجاهد: "لما خاف بنو إسرائيل من فرعون أن يقتلوا في الكنائس الجامعة، أمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلية الكعبة، يصلون فيها سرا" (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1999، صفحة 4/290)، وذلك حذراً من بطش فرعون، شأنهم شأن المسلمين الأوائل حينما كان الإسلام في أوليته ضعيفاً بمكة (الشعراوي، 1997، صفحة 10/6161).

ثانيا: تحريق العجل ونسفه:

قطعا لجذور الفتنة، واحتياطا من تكرر الافتتان به، قال تعالى حكاية عن قول موسى عليه السلام للسامري: {وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا} (طه: ٩٧).

"وكان قد أشرب العجل في قلوب بني إسرائيل، فأراد موسى عليه السلام إتلافه وهم ينظرون، على وجه لا تمكن إعادته بالإحراق والسحق وذريه في اليم ونسفه، ليزول ما في قلوبهم من حبه، كما زال شخصه، ولأن في إبقائه محنة، لأن في النفوس أقوى داع إلى الباطل" (السعدي، 2000، صفحة 512).

خاتمة:

من خلال دراسة الوسائل والأساليب في دعوة نبي الله موسى عليه السلام دراسة موضوعية نستخلص ما يلي:

- 1- أن الوسائل أوعية للأساليب، وأن دورهما متكامل ومتلازم في إنجاح الدعوة.
- 2- القضية الأساسية التي بدأ بها موسى عليه السلام وبيدأ بها كل داعية ويركز عليها هي التوحيد وتصحيح العقيدة، لأن كل ما يأتي مبني عليها.
- 3- المدعوون ليس بمجرد استجابتهم انتهت مهمة الدعوة معهم، بل لابد من تعاهدهم بالتربية والتعليم كما كان يفعل موسى عليه السلام.
- 4- الأسلوب العقلي ضروري جدا للداعية، خاصة في دعوة من لا يؤمنون بوحى ولا رسالة، كشأن فرعون وقومه.
- 5- من الأساليب التي كان يستعملها موسى عليه السلام التذكير والترغيب والترهيب، لأن لها دورا فعالا في شحذ الهمم والتنشيط على الطاعة والتفكير من المعصية.
- 6- الدعاء من الأسلحة القوية الفعالة التي يمتلكها الداعية، ويمكنه أن يستعملها سلبا وإيجابا.
- 7- أقام موسى عليه السلام الدليل الحسي والعقلي والتاريخي على صحة دعوته، وإقامة الدليل وتنويع الأدلة أمر ضروري، لأن المخالف لا يرى الداعية إلا صاحب دعوى عليه إثباتها.
- 8- إذا حصل لدى المدعو شبهات حالت دون الاستجابة فعلى الداعية أن يزيلها ويكشفها لئلا يبقى مجال للبس، وقد كشف موسى عليه السلام الشبهات التي كان يثيرها فرعون.
- 9- القول هو أساس الوسائل، ومن مجالاته: الحوار والخطابة.

10. التأديب - بالقول والفعل - من الوسائل المهمة للداعية المتمكن، تكمن أهميتها في زجر المخالف وانزجار غيره.
11. الداعية لا يستغني عن الاستعانة بغيره، لأن ما يوجد فيه من نقص يكمل بغيره، وقد استعان موسى بأخيه هارون عليهما السلام ويفتاه يوشع بن نون.
12. على الداعية أن يختار الظروف المناسبة لتبليغ دعوته لتكون أوقع في النفوس، وعليه دائما الاحتياط وتوخي الحذر لأن سنة الله في خلقه أن الدعاة والمصلحين يعادون ويؤذون.
- وأوصي كل داعية إلى الله بتدبر قصص الأنبياء عليهم السلام عموما وقصة موسى عليه السلام خصوصا، وتأملها حق التأمل، للاعتبار والافتداء، فإن فيها عبرة لأولي الألباب، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِ﴾ (الأنعام: 90)، كما أقترح دراسة باقي قصص الأنبياء دراسة موضوعية واستخلاص منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله واستنباط الوسائل والأساليب التي استعملوها في دعوتهم.

- قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد ابن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة. دار الفكر.
2. أحمد بن محمد الفيومي. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية.
3. أحمد بن مصطفى المراغي. (1946). تفسير المراغي (ط1). مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
4. أحمد مختار عبد الحميد. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة (ط1). عالم الكتب.
5. إسماعيل بن عمر ابن كثير. (1999). تفسير القرآن العظيم (ط2). دار طيبة للنشر والتوزيع.
6. إسماعيل بن عمر ابن كثير. (1968). قصص الأنبياء (ط1). القاهرة: مطبعة دار التأليف.
7. بكر بن عبد الله أبو زيد. (1415). الحدود والتعزيرات عند ابن القيم (ط2). دار العاصمة للنشر والتوزيع.
8. ربيع بن هادي المدخلي. (2000). منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله. عجمان: مكتبة الفرقان.
9. سعيد بن علي القحطاني. (1421). فقه الدعوة في صحيح البخاري (ط1). الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
10. سيد قطب الشاربي. (1412). في ظلال القرآن (ط17). بيروت-القاهرة: دار الشروق.

11. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (2000). *تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* (ط1). مؤسسة الرسالة.
12. عبد الكريم زيدان. (2001). *أصول الدعوة* (ط9). مؤسسة الرسالة.
13. عثمان بن محمد الخميس. (2010). *فيهداهم اقتده* (ط1). الكويت: دار إيلاف الدولية.
14. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي. (1995). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. بيروت- لبنان: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.
15. محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور. (1984). *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر .
16. محمد بن أحمد ابن رشد. (1964). *مناهج الأدلة في عقائد الملة* (ط2). مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
17. محمد بن أحمد القرطبي. (1964). *الجامع لأحكام القرآن* (ط2). القاهرة: دار الكتب المصرية.
18. محمد بن أحمد المحلي، و عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. *تفسير الجلالين* (ط1). القاهرة: دار الحديث.
19. محمد بن إسماعيل البخاري. (1422). *الجامع الصحيح* (ط1). دار طوق النجاة.
20. محمد بن جرير الطبري. (2000). *جامع البيان في تأويل القرآن* (ط1). مؤسسة الرسالة.
21. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. (2005). *القاموس المحيط* (ط8). بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
22. محمد رشيد رضا. (1990). *تفسير المنار*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
23. محمد متولي الشعراوي. (1997). *تفسير الشعراوي*. مطابع أخبار اليوم.
24. مسلم بن الحجاج القشيري. (1991). *المسند الصحيح* (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.